المسجد الأقصى في الجعرانة؛ مغالطة تاريخية وقياس فاسد

إعداد: د. محمد بن حسين الحارثي الشريف

باحث في التاريخ والحضارة

مكة المكرمة

عصر الجمعة ١٢/ ربيع الآخر/١٤٤٢هـ

٢٧/نوفمبر/٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين أهل المنطق والبلاغة؛ أن المغالطة: قياس فاسد، وصناعة علمية لا تفيد استنتاج اليقين في المحاججة، وقد يسلّم لها الخصم وقد لا يسلّم. فالمغالطة هي ادعاء غير صحيح قد يكون مبنيًا على أسس وأدلة غير سليمة مما يقود إلى نتائج خاطئة، أو قد يستند إلى أدلة صحيحة ولكنه ينطلق منها إلى استنتاجات مغلوطة.

والمغالطة التاريخية التي نحن بصددها ساذجة أيضاً؛ فقد بثها سُذجٌ ذوي أجندات مشبوهة مكشوفة؛ لأنها تتصادم مع النص القرآني الكريم، والنص النبوي الشريف، والخبر التاريخي المتواتر، والمكتشف الآثاري، والواقع الجغرافي لجزيرة العرب (مهد العروبة والإسلام)، وبلاد فلسطين (الأرض المباركة)، بل والجهل بمصطلحات الاتجاهات الجغرافية والمكانية؛ السائدة في الجزيرة العربية، ولدى علماء الجغرافيا والبلدانيات.

فقد تداولت مواقع التواصل الاجتماعي بمختلف أنواعها منذ شهور أو أكثر –بحسب اطلاعي– مقالات وتغريدات وكتابات، وتعليقات صوتية مرئية؛ عن دعوى اكتشافهم العبقري النادر؛ بأن المسجد الأقصى المبارك القبلة الأولى مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس في موطنه القدس من أرض فلسطين المباركة، بل يقع في قرية (جِعرانة) شمال شرقي مكة المكرمة. مُستندين إلى نص للواقدي في مغازيه..!!

- **نص الواقدي:**

"وَانْتَهَى رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْجِعِرّانَةِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِخَمْسِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فَأَقَامَ بِالْجِعِرّانَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ فَلَمّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ إلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ مِنْ الْجِعِرّانَةِ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ لَيْلًا؛ فَأَحْرَمَ مِنْ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الّذِي تَحْتَ الْوَادِي بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى، وَكَانَ مُصَلّى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا كَانَ بِالْجِعِرّانَةِ، فَأَمّا هَذَا الْمَسْجِدُ الْأَدْنَى، فَبَنَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَاتّخَذَ ذَلِكَ الْحَائِطَ عِنْدَهُ"[1].

- **تحليل هذه المغالطة التاريخية:**

١- قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [2] ؛ فحادثة الإسراء والمعراج الواردة في هذه الآية الكريمة، أُرِخَ لها بإنها قبل الهجرة بسنة، فتكون في ربيع الأول، ولم تعين الليلة، وقيل في ليلة السابع والعشرين من رجب قبل الهجرة بسنة، وقيل قبل الهجرة بستة عشر شهراً، فتكون في ذي القعدة، وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل بخمس، وقيل: بست. والذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة وقبل الهجرة. وعن جابرَ بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: ((لما كذبني قريش، قُمْتُ في الحجر فجلا اللهُ لي بيت المقْدِسِ، فطفقت أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)) [3].

٢- الذي فرح بنص الواقدي، فليعلم أنه لم يتفرد به، بل أورده أيضاً المؤرخ المكي الكبير الإمام الأزرقي، وكليهما من أبناء النصف الأول من القرن الثالث الهجري. فماذا يقصدان رحمهما الله؟

---

(١) الواقدي: محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ): المغازي، تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج٣، ص٩٥٨-٩٥٩.

(٢) سورة الإسراء، آية رقم (١).

(٣) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، حديث رقم (٣٨٨٦) ، ابن حجر: فتح الباري، ج٧،ص٢٩٢ ؛ مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حديث رقم (١٦٢) ، النووي: المنهاج ، ج٢،ص١٨٢.

٣- النص يتحدث عن منطقة توزيع الغنائم (الجِعرانة) وإحرام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالعمرة منها؛ عقب الانتصار في غزوة حُنين، وحصار الطائف، التي وقعت في الثالث عشر من شهر شوال في السّنة الثامنة للهجرة.

٤- فأين هي الجِعرانة؟

جِعْرَانة: بكسر أوله وسكون ثانيه وتخفيف الراء، كذا اتفق اللغويون على ضبطها. وأهل مكة اليوم ينطقونها بضم الجيم، وهي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين وأحرم منها، صلى الله عليه وآله وسلم، وله فيها مسجد، وبها بئار متقاربة، وتقع في صدر وادي سرف، شمال شرقي مكة على قرابة "٢٤" كم (٤).

٥- نناقش الآن عبارة الواقدي (فَأَحْرَمَ من المسجد الْأَقْصَى الّذِي تَحْتَ الْوَادِي بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى)

القُصْوَى: مؤنث الأقْصَى، ويقال: فلانٌ في الناحية القُصْوَى: البعيدة. والقُصْوَى طَرَفُ الوادي.

والقُصْوَى الغايةُ البعيدةُ (٥).

وفي الآية الكريمة التي نزلت في غزوة بدر:﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٦). يفسرها البغوي (٧) بقوله:﴿ إِذْ أَنْتُمْ ﴾، أَيْ: إِذْ أَنْتُمْ نُزُولٌ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ،﴿ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا ﴾، بِشَفِيرِ الْوَادِي الْأَدْنَى إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالدُّنْيَا: تَأْنِيثُ الْأَدْنَى،﴿ وَهُمْ ﴾، يَعْنِي عَدُوَّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،﴿ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى ﴾، بِشَفِيرِ الْوَادِي الْأَقْصَى مِنَ الْمَدِينَةِ، وَالْقُصْوَى تَأْنِيثُ الْأَقْصَى.

٦- المقصود هو الاتجاه الجغرافي والمكاني لمسجدي الجِعرانة:

---

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، الطبعة التاسعة ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ج٢ ، ص١٤٢؛ البلادي: عاتق: معالم مكة التاريخية، دار مكة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٦٤.
(٥) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٧٤١.
(٦) سورة الأنفال، آية رقم (٤٢).
(٧) معالم التنزيل: دار طيبة- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٣،ص٣٦٢.

فقد كان بالجِعرانة مسجدان، أحدهما بالعدوة القصوى من الوادي بُني في موضع مصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحرم منه، والآخر بالعدوة الدنيا من الوادي، بناه رجل من قريش، وكلا المسجدين بُنيا قبل القرن الثالث الهجري [٨].

وأما المسجد الحالي، وهو المسجد الذي يعتمر منه الناس اليوم فيقع بالعدوة الدنيا عند تقاطع طريقين مسفلتين في بداية الجعرانة على بعد ٢٥كم من المسجد الحرام شمالاً شرقياً [٩].

٧- الاتجاهات الجغرافية:

سوء الفهم وعدم الإحاطة بالاتجاهات الجغرافية والمكانية للمسميات والمواقع والأحداث؛ فلم يستطع –مثير المغالطة–التمييز بين الواقع الجغرافي للمسجد الأقصى في القدس بفلسطين المباركة، وبين الاتجاهات الجغرافية والمكانية؛ السائدة في الجزيرة العربية، ولدى علماء الجغرافيا والبلدانيات!!. الواردة في القرآن والسنة، (كالعدوة، القصوى، الدنيا، الأقصى، الأدنى)، وغيرها مما ورد لمجمل أحداث السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم. فتطبيق المفهوم الصحيح للمصطلحات ذات المدلولات الجغرافية والمصطلحات المكانية؛ يحقق بناء تصور للسياق الجغرافي والمكاني، وبالتالي تحديد مواضع الأشخاص والمواقع [١٠].

٨- ختام القول: من ذلك يتضح لنا بجلاء كبير أن مثير هذه المغالطة التاريخية، جاهل بأبجديات البحث التاريخي، والمنطق العلمي؛ فالتشكيك في موقع المسجد الأقصى المبارك القبلة الأولى، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القدس في أرضه فلسطين المباركة، كالذي يشكك في موقع المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة!

---

(٨) الأزرقي: أبي الوليد محمد بن عبدالله (ت٢٥٠هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢، ص٨٢٤.

(٩) الحارثي: ناصر بن علي: الآثار الإسلامية في مكة المكرمة، الطبعة الأولى- الرياض، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢٣١.

(١٠) القاضي: عبدالله حسين: مفهوم الاتجاهات الجغرافية في القرآن الكريم، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، علوم تصاميم البيئة،م٧ ص ص ٥١، ١٠٢، (٢٠١٣م/١٤٣٤هـ).